وأصاغ السمع ، وانتظر متى يأمر الله بأن ينفخ في الصور !! ومنذ متى وهو على هذا الحال !! قائم في الطاعة !! ملتزم بالأمر .. وجمعيهم خائف من الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل ٥٠] .

وقد جاء أنهم في خوف دائم منذ خلق الله النار .

[١٧] رسل الله وأنبياؤه يخافون العذاب :

وأما الرسل والأنبياء فهم أعظم البشر خوفاً من الله سبحانه وتعالى وفرقاً من عذابه ، وفراراً إليه !! مع ماكانوا عليه من الطاعة والاستقامة والعبادة !! .

فهذا آدم منذ عصى الله بأن أكل من الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها وهو خائف من العذاب مع استغفاره ورجوعه إلى الله من ذنبه مع ما حدث له بعد ذلك من الإبتلاء بالخروج من الجنة ومقاساة العيش على ظهر الأرض ... .

وعندما يلقي أبناءه يوم القيامة يستشفع به أبناؤه إلى الله

في القضاء بين العباد ودخول الجنة قائلين له : يا أدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ألا تشفع لنا عند الله !! ، فيقول لهم أبوهم آدم : « وهل أخرجكم من الجنة إلا معصية أبيكم ، اذهبوا إلى غيري » .

وفي حديث الشفاعة الطويل يظل كل رسول خائفاً من الله .. فقد روي الإمام البخاري عن أبي هريرة قال : كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة ، فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فَنَهَس منها نَهْسَةً ، وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون مم ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون .

فيقول الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ؟ ألا ترون إلى ما بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم ، ويأتونه فيقولون :

يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ،ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فقال : إن ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وأنه نهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً ، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ، فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم

يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات . نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسي .

فيأتون موسى فيقولون : ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول : إني ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسي .

فيأتون عيسى فيقولون : ياعيسى أنت رسول الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى ، إني ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ .

فيأتوني فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم

الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ .

فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله على من محامده ، وحُسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يارب أمتي يارب .

فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس ، فيما سوي ذلك من الأبواب ، ثم قال : « **والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصري** » .

[متفق عليه] .

فإذا كان هذا هو حال الرسل يوم القيامة ، فما حال غيرهم من أهل الذنوب والمعاصي ، وكان ﷺ أتقى العباد لله وأخوفهم منه ، وأعلمهم به ، وكان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء ... .

obeikandl.com

[١٨] المؤمنون حقاً في خوف دائم من عذاب الله إلى أن يدخلوا الجنة :

عندما قرأت القرآن وجدت الله سبحانه وتعالى وصف عباده المؤمنين أنهم كانوا في خوف دائم من عذابه ، وفي ترقُّب وتوجس أن يقع بهم العذاب في أي لحظة ، وإشفاق دائم مما هم مقدمون عليه ... .

وجدت أن الله يقول في وصف عباده المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) ﴾ [المعارج ٢٧ – ٢٨] .

والإشفاق غاية الخوف ، ونهاية الرعب ، ووجدت الله يقول في وصف عباده المؤمنين ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) ﴾[المؤمنون ٥٨-٦١].

وهؤلاء المؤمنون خائفون مع أنهم يصلون ويصومون

ويتصدقون ، ففي مسند الإمام أحمد أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ويخاف الله عز وجل ؟ قال : « **لا يا ابنة الصديق ، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل** » .

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ** (٥٧) ﴾ [المؤمنون ٥٧] ... أي هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون وجلون من مكره بهم .

قال الحسن البصري : « إن المؤمن جمع إحساناً وشفقة ، وإن الكافر جمع إساءة وأمناً » .

نعم لقد وجدت أنه لا يشعر بالأمن والأمان إلا الكفار والمنافقون الذين غرتهم أنفسهم ورَأَوْا سيء أعمالهم حسناً ، وأن الله ما دام قد أعطاهم في الدنيا الأموال والأولاد فهو مكرمهم في الآخرة أيضاً .

ورأيت أن الله أخبرنا بحديث أهل الجنة وذكرياتهم في

الدنيا فكان مما قالوه : ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) ﴾ [الطور ٢٦-٢٨] .

[١٩] نماذج رائعة من المؤمنين الخائفين من عذاب الله :

﴿ ١ ﴾ عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمنى كل مؤمن أن يكون له بعض عمله يقول : وهو في مرض موته عن سابقته في الإسلام وعمله الصالح كله وددت أن هذا كفافاً لا لي ولا عليَّ .

فقد روي الإمام البخاري بإسناده إلى المسور بن مخرمة قال : لما طعن عمر جعل يألم ، فقال له ابن عباس ، وكأنه يُجزِّعه : يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ وأحسنت صحبته ، ثم فارقت وهو عنك راض ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ، ثم فارقت وهو عنك راض ، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم ، ولئن

فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون ، قال : أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه ، إن ذلك منٌّ من الله تعالى عليّ ، وأما ماذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذلك منٌّ من الله جل ذكره عليَّ وأما ما ترى من جزعي ، فهو من أجلك ومن أجل أصحابك ، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه » .

وفي رواية أخرى قال : « وددت أن ذلك كفافاً لا عليّ ولا لي » [رواه البخاري] .

وفي رواية : « لو أن بغلة عثرت بالعراق لسئل عنها عمر بين يدي الله عز وجل » .

فإذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أسلم مبكراً ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وصحبة ساعة مع رسول الله لا يعدلها عمل ممن يأتي بعده ، وكان وزير النبي ﷺ ومستشاره ، ولم يمت النبي ﷺ حتى بشره بالجنة مراراً وتكراراً . ثم كان خير صاحب لأبي بكر الصديق صاحب

رسول الله ﷺ ، وكان خير وزير ومستشار ومعين له ، ثم تولى أمر المسلمين فاستحالت في يده غرباً ... حتى ضرب الناس بعطن » .

ففتحت في عهده الفتوح ودخلت الأمم في دين الله أفواجاً ، الفرس ، والروم ، وشعوب بلاد الشام ، ومصر ، وغطى الإسلام الأرض كلها أو كاد ... ونقل إلى المدينة النبوية كنوز كسرى وقيصر ، ومع ذلك مات عمر يوم مات شهيداً حميداً مديناً بستة وثمانين ألف دينار !! قام ابنه عبد الله رضي الله عنه بتسديدها عنه بعد أن جمعها من مال آل الخطاب .

ومع كل هذه الفضائل والمناقب قال عند موته :

« أرجو أن يكون هذا كفافاً لا لي ولا علي .. والله لو أن بغلة عثرت بالعراق لسئل عنها عمر بين يدي الله عز وجل، والله لو كان طلاع الأرض ذهباً لا فتديت به من عذاب الله قبل أن أراه » ، أي لو كنت أملك مثل جبال الأرض ذهباً لافتديت به الآن مما أحاذر من عذاب الله ، فإذا

كان عمر رضي الله عنه يخشى من عذاب الله على هذا النحو ، وهو من هو رضي الله عنه فما الظن بأمثالنا ممن لا تحصى ذنوبهم ولا قدم لهم في الإسلام .

﴿ ب ﴾ عمرو بن العاص رضي الله عنه يبكي خوفاً من الله وهو على فراش الموت :

ورأيت أن عمرو بن العاص يبكي وهو على فراش الموت خائفاً من لقاء الله ، فقد روى الإمام مسلم بإسناده إلى أن ابن شماسة المهري قال : « حضرنا مع عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار ، فجعل ابنه يقول : يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟، قال: فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

إني قد كنت على أطباق ثلاث :

لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني ، ولا أحب إلى أن أكون قد استمكنْتُ منه فقتلته ، فلو مت

على تلك الحال لكنت من أهل النار .

فلمـا جـعل الله الإسـلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فـقلت : ابسط يمينك فلأبايعك ، فبسط يمينه ، قال : فقبضت يدي . قال : مالك يا عمرو ، قال : قلت : أردت أن اشترط ، قال : تشترط بماذا ، قلت : أن يغفر لي ، قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله » ، وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة .

ثم حدثت أمور لا أدري ما حالي فيها ..فإذا دفنتموني فشنُّوا علي التراب شنّاً ، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ، ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي .

﴿ جـ ﴾ أم المؤمنين عائشة ﵂ تجعل نفسها من قسم الظالم لنفسه :

وتقول عائشة ﵂ لما سئلت عن قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [فاطر ٣٢] ، أي بني هؤلاء في الجنة ، أما السابق بالخيرات فمن بقى على عهد رسول الله ، وشهد له الرسول بالجنة ، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم ، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم !! . [رواه الطيالسي] .

﴿ د ﴾ الجميع يبكي ذنبه ويذكر خطيئته :

ولقد رأيت الجميع يبكي ذنبه ، ويذكر خطيئته ، ولا يرى لنفسه فضلاً، ولا لعلمه الصالح ذكراً ويقول أحدهم : « لو أعلم أن لي عملاً واحداً متقبلاً لتمنيت الموت !! » .

ولما رأيت ذلك ، ورأيت الطريق الطويل إلى الجنة ، ووجدت النبي ﷺ يقول : « **ما من حكم يحكم بين الناس إلا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه حتى يقفه على**

جهنم ، ثم يرفع رأسه إلى الله عز وجل ، فإن قال الخطأ ألقاه في جهنم يهوي أربعين خريفاً » . [رواه أحمد] .

[٢٠] جولة فى النار تبدد الغرور :

ولقد كان أعظم ما جعل غروري السابق بالفردوس يتلاشى ويزول ، والتفكير كله ينصب على النجاة من النار أولاً وأخيراً هو جولة في النار من الداخل ونظرة إلى الهوة السحيقة !! واستبصار لمن يدخلونها ويتساقطون فيها ... .

ولما وقفت مرة ومرة عند وصف الله ورسوله لهذه النار العظيمة الموجودة الآن ، وعاينت بالقلب أحوال أهلها ، علمت يقيناً – إن شاء الله – أن العزم كل العزم يجب أن يكون الفرار منها ، وأن الفرار من النار مقدم على التفكير في دخول الجنة ، ومن المعلوم أن دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح ، فكيف إذا كانت المصلحة لا يتوصل إليها إلا بدفع المفسدة أولاً ... فالجنة لا تنال إلا بعد النجاة من النار !! ، وقد علمت أن مثلي ممن حمل هذه السلسلة الطويلة من الذنوب والمعاصي ، والتي يستحق بها العذاب

– لولا رحمة الله – يصبح من إساءة الأدب ، ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل الله الجنة ، وهو بعد لم يتخلص من موجبات العذاب .

والحق أنني لم أر النار ، نار الآخرة لا يقظة ولا مناماً .. ولكني وقفت قليلاً على توقيف الله عباده على هذه النار ، ووصفه سبحانه المفصل لها ، وتصريف الله الوعيد لعباده بشأنها ، وعلى النقل الحي للرسول ﷺ الذي رآها رأي العين ، ثم وصفها وصفاً واضحاً كاملاً ، فأصبح من لم يرها بعينه كأنه رآها بعينه بوصف النبي ﷺ لها .

وقد كان الصحابي يجلس إلى النبي ﷺ يحدث عن الجنة والنار ، فكأنه وإياها رأى العين ، قال حنظلة : يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا وإياها رأي العين !! فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً !! . [رواه مسلم] .

وكان رسول الله ﷺ إذا خطب يصف النار علا صوته ، واشتد غضبه واحمر وجهه كأنه نذير جيش يقول :

« **صبحكم ومساكم** » ، قال : جابر بن عبد الله رضي الله عنه : « كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول : « **من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار** » **ثم يقول** : « **بعثت أنا والساعة كهاتين ، وكان إذا ذكر الساعة احمرتْ وجْنتاه وعلا صوته ، واشتد غضبه ؛ كأنه نذير جيش يقول** : « **صبحكم ومساكم !!** » **ثم قال** : « **من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي أو علي وأنا أولى بالمؤمنين** » [رواه النسائي] .

ولو قدر لنا أن تصلنا سلسلة خطب النبي ﷺ وهو يفسر سورة « ق » من فوق منبره لكنا سمعناً عجباً ، فإن بعض الصحابيات حفظن سورة « ق » من فم الرسول ﷺ من كثرة ما يخطب بها ﷺ في الجمعة .

وسورة « ق » من سور الوعيد ، وقد حملت مشاهد

عظيمة من صور الحشر ، والنار وكلام أهل النار ، وخصومتهم بعضهم بعضاً : من كان السبب منهم في إدخال الآخر إلى النار ، ورد الله على الجميع : ﴿ **لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٢٩)** ﴾ [ق ٢٨-٢٩] .

ثم كلام الله للنار التي قد فتحت أبوابها تبتلع كل الأفواج ممن يدخلها من أهلها ، وهم عدد لا يحصى كثرة، فإنه يدخل من أولاد آدم من كل ألف تسعة وتسعون وتسعمائة !! ويبقي واحد من كل ألف يدخل الجنة !! .

ولما كانت النار دركات بعضها فوق بعض ، لا يشاهد المشاهد منها على ظهر أرض المحشر إلا أبوابها ، وقرونها وأسوارها ، ولهيبها المنبعث منها ، وأما هي فبئر واسع سحيق يمتد سفلاً حتى إن الحجر ليلقى من على شفير جهنم « الشفير حافة البئر » فيمكث سبعين عاماً لا يصل إلى قعرها !! .

ولما كانت النار كذلك ، وقد يظن أنه من كثرة ما

يلقي فيها من الجن والإنس يصبحون طبقات بعضهم فوق بعض ، وألا متسع في داخلها لمزيد من الأفواج أخبر سبحانه وتعالى عباده أن هذا التنور العظيم ، والبئر الواسعة العميقة لن يعجز عن استيعاب كل الداخلين إليها ، قال تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) ﴾ [الشعراء ٩٤ – ٩٥] وقال: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق ٣٠] .

[٢١] النبي ﷺ يحدث عن النار التى رآها رأي العين :

على باب النار وقف رسول الله ﷺ وإلى داخل النار نظر !! فقال ﷺ : « **اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء** »

[رواه البخاري] .

وقال أيضاً ﷺ : « **قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار ، وقمت على باب**

النار، فإذا عامة من دخلها النساء » [رواه البخاري] .

وفي مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر ، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه فأطال القيام حتى جعلوا يخرون ، ثم ركع فأطال الركوع ثم رفع رأسه فأطال ، ثم ركع فأطال الركوع ثم سجد سجدتين ، ثم قام فصنع مثل ذلك ، ثم جعل يتقدم ثم جعل يتأخر ، فكانت أربع ركعات، وأربع سجدات ، ثم قال: « إنه عرض علي كل شيء توعدونه ، فعرضت علي الجنة حتى لو تناولت منها قطفاً أخذته ، أو قال: تناولت منها قطفاً فقصرت يدي عنه » - شك هشام- « وعرضت علي النار فجعلت أتأخر رهبة أن تغشاكم فرأيت امرأة حِمَيْرِيَّةً سوداء طويلة تعذب في هرة لها ربطتها فلم تطعمها ، ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يجر قُصْبَهُ في النار وإنهما آيتان من آيات الله عز وجل يركموها فإذا خسفت فصلوا حتى تنجلي» .

[رواه أحمد] .

وفي رواية مسلم « **عُرِضَت عليَّ الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً** » [رواه مسلم] .

[٢٢] عبد الله بن عمر بن الخطاب يرى النار مناماً :

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يتمنى أن يرى رؤيا ليقصها على النبي ﷺ كما كان يفعل كثير من أصحاب النبي ﷺ ، ففي الصحيحين قال : رأيت في المنام أنه جاءني ملكان في يد كل واحد منهما مِقْمَعَةٌ من حديد قالوا : لن ترع !! نِعْمَ الرجل أنت ، لو كنت تكثر الصلاة من الليل !! فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم ، فإذا هي مطوية كطي البئر ، لها قرون كقرون البئر ، بين كل قرنين مَلَكٌ بيده مقمعة من حديد ، وإذا فيها رجال معلقون بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم !! وعرفت رجالاً من قريش !! فانصرفوا بي عن ذات اليمين ، فقصصتها على

حفصة ، فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : « إن عبد الله رجل صالح » !! ، وفي رواية : « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل » .

[٢٣] هذا وصف النار في القرآن والسُّنة :

وأما أنا كاتب هذه السطور فلم أر النار .. نار الآخرة لا يقظة ولا مناماً ، ولكنني قرأت وسمعت أوصافها في القرآن الكريم ، وحديث النبي ﷺ ، وكنت وما زلت أحاول أن أكون كذلك الصحابي الذي كان يجلس مجالس النبي ﷺ فيسمع وصف النبي ﷺ وتصويره للنار وأهوالها ، وأحوال أهلها فكأنه وإياها رأي العين .

وقد شرعت أجمع وصف النار من آيات كتاب الله الكريم ، ومشاهد يصورها الله لنا بالقرآن البليغ المعجز ، ومشاهد آخر ينقلها النبي ﷺ لنا ويصورها بجوامع الكلم ، فإذا الصورة الكلية رهيبة رهيبة ، وإذا المشاهد كل مشهد يقطع القلب لو كان يعي ويسمع ... .

[٢٤] النار واحدة من آيات الله الكبرى :

وأنا مـتنقل بك أخي المسلم ، بل أخي الإنسـان ، وكيفما كان معتقدك لتنظر وترى ، ثم اختر لنفسك بعد ذلك ما شئت قال تعالى : ﴿ كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيراً لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) ﴾ [المدثر ٣٢ – ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾ [الكهف ٢٩] .

وأقول للمصدق بالنار ... اجلس بنا نؤمن ساعة !! فإن تذكر النار من الإيمان .

وأقول لغير المصدق بالجحيم : والله إنها الحق ، وهي موجودة الآن ، وقد رآها الصادقون رأي العين ، وحدثوا بما شاهدوا فيها ، وأعظم من رآها وحدث بما فيها هو رسولنا

الصادق الأمين محمد بن عبد الله الرسول النبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه ، فقد قال : « وقفت على باب النار !! » ، وقال : « ورأيت النار فلم أر شيئاً أفظع » !! .

ورأيت هنا رؤية بصر ، وليس رؤية علم فقط .

[٢٥] الجحيم : موجودة باقية أبداً سرمداً :

الجحيم موجودة مخلوقة كائنة الآن ، وقد رآها النبي ﷺ بعيني رأسه ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الجنة نادى جبريل فقال له : « **اذهب فانظر إليها ، وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر إليها ، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، فرجع فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها !! فأمر بالجنة فحفت بالمكاره ، فقال : ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر إليها ، فلما رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد !! قال : ثم أرسله إلى النار قال : اذهب فانظر إليها ، وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر إليها ، فإذا هي يركب بعضها بعضاً ، ثم رجع**

فقال : وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها !! فأمر بها فحفت بالشهوات ، ثم قال : اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها ، فذهب فنظر فيها فرجع ، فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها » [رواه أحمد أبو داود والترمذي والنسائي] .

وأخبر ﷺ أن النار اشتكت إلى الله سبحانه وتعالى فقالت : « يارب ! أكل بعضي بعضاً ، فجعل لها نفسين ، نفساً في الشتاء ، ونفساً في الصيف ، فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها ، وشدة ما تجدون من الحر من سمومها » . [رواه ابن ماجه] .

وأخبر ﷺ أنه « **إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النيران ، وصفدت الشياطين**» [متفق عليه] .

وجميع أخبار الله عنها في القرآن أنها مخلوقة موجودة ، وهذه النار لا تفني ولا تبيد ، بل هى باقية

وخالدة خلوداً لا نهاية له ، ولا انقطاع له ، وأهلها الذين هم أهلها باقون فيها معذبون عذاباً لا ينقطع أبداً ، ولا يفتر عنهم مطلقاً – عياذاً بالله منها ومن أحوال أهلها – .

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ﴾ .

[هود ١٠٦ – ١٠٧] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (٧٤) ﴾ [طه ٧٤] .

وقال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢) ﴾ .

[البقرة ١٦١ – ١٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٧) ﴾ [المائدة ٣٧] .

وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) ﴾ .

[الأعلى ٩- ١٣] .

أي لا يموت موتاً يستريح فيه من العذاب ، ولا يحيى حياة نافعة صالحة ، بل عذاب دائم يصبح الموت معه أكبر الأماني ولكنه لا يكون ، وقال تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) ﴾ .

[الزخرف ٧٧] .

قال تعالى : ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) ﴾ [الزمر ٧٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) ﴾ [فاطر ٣٦] .

وقال ﷺ : « إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار

النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة خلود فلا موت !! ، يا أهل النار خلود فلا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم » [رواه البخارى] .

[٢٦] هل يمكن تصور سعة النار ؟! :

وهذه النار المخلوقة الموجودة الآن لا يبلغ العقل معرفة اتساعها ، فإن الشمس والقمر والنجوم أحجار صغيرة في وسطها ... إنها محرقة هائلة تلقي فيها النجوم والشموس كما تلقي الأحجار الصغيرة في البئر العظيمة ، وتتضخم أجساد أهلها وأصحابها ممن كتب الله عليهم الخلود فيها حتى إنه ليكون ضرس أحدهم كجبل أُحد !! وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام !! وسمك جلده مسيرة ثلاثة أيام !! فيكون جثمان الواحد من أهل النار كأعظم جبل من جبال الدنيا ، قال ﷺ : « **ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أُحد، وغِلَظُ جلدة مسيرة ثلاثة أيام** » [رواه مسلم] .

وفي البخاري قال ﷺ : « **ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع** » .

وفي الترمذي قال ﷺ : « **إن مجلس الكافر من جهنم كما بين مكة والمدينة** » !! .

ومع أنه يدخل النار من أولاد آدم من كل ألف تسع وتسعون وتسعمائة ، ولا يدخل الجنة من الألف إلا واحد فقط !! ، وثمَّ من شياطين الجن مثل أعداد كفار بني آدم أو يزيدون ، وكلهم يدخلون النار على الحال التي وصف الله سبحانه وتعالى ، وكل هؤلاء لا يملئون النار ، ولا تضيق بهم !! .

قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾** ﴾ [ق ٣٠] .

وهذه النار التي هي بهذه الاتساع ، قد خلقت على شكل البئر المطوية قد لا يبدو للناظر إليها وهو خارج عنها من فوقها إلا سورها وسرادقها المحيط بها ، وأبوابها السبعة المقامة في سورها ، أو المنصوبة على دركاتها ، وأما هي

فتذهب عمقاً إلى قعر لا قرار له ، وإذا ألقي الحجر العظيم من شفيرها يظل يهوى سبعين عاماً لا يبلغ قعرها ... وفي هذه المحرقة الهائلة جبال .

وفي هذه الجبال من الكهوف والمغارات والوديان ، والشعاب ، تهاويل وتهاويل لا يبلغ العقل عدها ولا حصرها ، وتجري في جبالها وسهولها وقيعانها ، أنهار القيح والصديد ، وما يسيل من أجساد أهل النار وما ينفجر من بطونهم وأمعائهم : ﴿ **وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ** ﴾ [محمد ١٥] .

ومن هذه الجبال والوديان تتفجر أنهار من ماء كَدَرْدِيِّ الزيت مُنتِنٍ بلغ غايته وحَدَّه في الحرارة ، إذا قربه المعذب من وجهه شوي وجهه ، وتساقط جلد وجهه فيها – عياذاً بالله من سخطه وعقابه – : ﴿ **وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾ [الكهف ٢٩] .

والمهل : هو الرصاص المذاب ، أو كُلُّ معدن مذاب .

[٢٧] فى النار : كل أسباب الموت و لا موت :

هذه النار العظيمة المخلوقة الآن من دخلها من أهلها الذين هم أهلها – عياذاً بالله – فإنه يبشر عند الدخول بالخلود الذي لا انقطاع له ، قبل أن يلقي فيها ﴿ **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)** ﴾ [الزمر ٧٢] ، ويجتمع له فيها كل أسباب الموت ، ولكنه لا يموت بسبب من أسبابها ، ولا بإجتماع كل أسبابها ﴿ **وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ** ﴾ [إبراهيم ١٧] ، فإن حر نارها يقتل ويميت وفي لحظة واحدة ، ولكن الله كتب على أهلها أن يذوقوه ولا يموتوا ، وكذلك ماؤها الذي يقطع الأمعاء يقتل لو لم يكتب الله البقاء السرمدي لأهلها ، وكذلك لدغ حياتها وأكل زقومها ، وقرع ملائكتها وضربهم أهلها بمقامع من حديد لو ضرب بها أعظم جبال الأرض ضربة واحدة لدك لساعته وأصبح كثيباً مهيلاً !! ثم الغم الشديد الذي يفجر القلب ، واليأس

الشديد الذي يقطع الأمل وكل هذه أحوال قاتلة مميتة ، ولكن المعذب بها من أهل النار عياذاً بالله لا يموت بواحدة منها ولا باجتماعها جميعاً ، وهي مجتمعة على كل واحد من أهل النار ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم ١٧] .

[٢٨] عذاب النار في ازدياد أبداً :

ويستمر هذا التسعير والتصعيد في العذاب أبداً ولا أمل في يوم من الراحة ، ولا ساعة من الهدوء ، ولا فتور للعذاب ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠) ﴾ [غافر ٤٩ – ٥٠] .

وقال تعالى :﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) ﴾ [الزخرف ٧٤ – ٧٥] ، أي متحيرون يائسون منقطعو الرجاء والأمل في أي صورة من صور الرحمة بهم .

إن تصور هذه الحال ، وتخيل أن يكون الواحد منا في هذه المآل – عياذاً بالله – أعظم واعظ وأكبر زاجر .

[٢٩] طعام أهل النار عذاب ، وشربهم عذاب :

أهل النار الذين هم أهلها المخلدون فيها – عياذاً بالله – يأكلون فيها ويشربون ، ولكنهم يعذبون بالطعام والشراب ، عذاباً كعذاب النار أو أشد ، ومع أنهم يعذبون بالطعام الذي يأكلونه وبالشراب الذي يشربونه إلا أن ضرورة الجوع والعطش تلجئهم إلى هذا الأكل والشرب الذي هو نوع من العذاب بل هو العذاب .

فالمعذب في النار يجوع جوعاً شديداً ، ويلجئه ضرورته وألمه إلى الأكل من شجر الزقوم ... وهذه الشجرة تخرج في أصل النار في عمق البئر ، وقعر الجحيم ، وتخرج أغصانها وثمارها في صورة مرعبة كريهة بشعة .

وما ظنك بثمار شجر ينبت في النار ، وتغذيه النار ويجري في عروقه الحميم .

ووصف الله سبحانه وتعالى شجرة الزقوم فقال جل

وعلا : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) ﴾ [الصافات ٦٤-٦٨] .

وقال جل وعلا أيضاً : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) ﴾ [الواقعة ٥١ – ٥٥] .

والمعنى أن ضرورة الجوع تلجئ المعذب من أهل النار إلى الأكل من هذه الشجرة الخبيثة الملعونة التي تخرج في أصل النار ، وتثمر ثماراً من نار ، فإذا احترق جوف المعذب من هذا الطعام الخبيث ، وأراد أن يطفئ الحرارة المشتعلة في بطنه ، ويطفئ العطش الهائل الذي يحس به ، ألجأته هذه الضرورة إلى ماء خبيث قد بلغ غايته في الحرارة فيشربه ليطفئ ناراً فلا يزيد هذا الماء المغلي إلا اشتعاراً ﴿ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴾ [الواقعة ٥٤] .

ومع أن الماء كدردري الزيت خبيث منتن الرائحة قد بلغ غايته في الغليان إلا أن المعذب يشرب منه شرباً ذريعاً شرب الناقه الهيماء التي يصيبها داء في جوفها ، فتشعر بلهيب في بطنها من الماء ولا ترتوي ... كما قال الشاعر يصف حاله في الحب :

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد

ظماها ولا يقضي عليها هيامها

قال تعالى عن أصحاب النار عياذاً بالله : ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥)** ﴾ [الواقعة ٥١ – ٥٥] .

والهيم : جمع هيماء وهي الناقة المريضة بداء الجوف التي تشرب ولا تروي .

وإذا شرب هؤلاء المعذبون من الماء الذي لا ينفعهم بل يضرهم حتى تقطع أمعاءهم ، فروا منه إلى النار بئس الفرار ثم تلجئهم ضرورة العطش مرة ثانية إلى ذلك الماء الخبيث ،

وهكذا فراراً من شر إلى ما هو شر منه ، ثم عود إلى الأول .

قال تعالى : ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤) ﴾ [الرحمن ٤٣ – ٤٤] ، والمعنى : يفرون منها إلى الحميم ويفرون من الحميم إليها ، ومعنى آن : أي بلغ حينه أي غاية حدة في الحرارة والغليان .

[٣٠] ألوان أخرى من الأشربة الخبيثة :

وليس هذا وحده ما يعذب به أهل النار من الطعام والشراب ، بل أن لهم من ألوان الأشربة الخبيثة النتنة المهلكة أشكالاً وألواناً ، قال تعالى: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) ﴾ [ص ٥٥ – ٥٨] .

فالحميم هو المار الحار والغساق شراب خبيث لو ألقيت قطرة واحدة منه على بحار الأرض لأفسدت على أهل الأرض كلهم معايشهم .

قال ﷺ : « ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران ١٠٢] لو أن قطرة من الزقوم قطرت لأفسدت على أهل الأرض عيشهم فكيف من ليس لهم طعام إلا الزقوم » .

[رواه أحمد] .

والأزواج الأخرى أشكال من جنس هذا عياذاً بالله من سخطة وعقابه ... وكل ذلك حق اليقين .

[٣١] العذاب النفسي أشد من العذاب الجسماني :

وليس عذاب أهل النار عذاباً جسمانياً فقط ، يعذبون بالنار التي تنضج جلودهم ، ثم ينبت في الحال غيرها ، وتحرق صدورهم حتى يبلغ قلوبهم ، قال تعالى : ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) ﴾ [الهمزة ٦-٧] ، أي التي يدخل لهيبها إلى الفؤاد ، والتي توضع أحجارها المحماة على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج الحجر من ظهره ، ويوضع فوق ظهره حتى يخرج من صدره !! .

قال ﷺ : « **بشر الكنازين برضف يحمى عليه في نار**

جهنم ، فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من ناغض كتفيه ، ويوضع على ناغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه ، يتزلزل » !! [رواه مسلم] .

ومن العذاب الجسماني في شربهم الحميم ، وأكلهم الزقوم ، ولدغ حيات كالبغال تنطلق من كهوف في النار ويسرى سمها في أجسامهم يعمل عمل النار أو أشد ... ليس هذا هو عذاب أهل النار فقط ، بل إن عذابهم النفسي مثل ذلك وأشر ... **فمن ذلك :**

﴿ ١ ﴾ التقريع الدائم من خزنة النار كقولهم لهم : ﴿ **أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [الزمر ٧١] .

﴿ ٢ ﴾ وكذلك إهمال ملائكة النار لاستغاثاتهم وصراخهم أو أن يرقوا لحالهم ... بل مضاعفة العذاب لهم كلما استغاثوا ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ** ﴾ [الكهف ٢٩] ، قال

تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر ٤٩ – ٥٠] .

وعندما يبلغ بأهل النار كربهم وغمهم غايته يسألون مالك خازن النار ، وهو أشد ملائكة العذاب شدة وغلظة ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ فيرد عليهم بعد ألف سنة – وهو يوم واحد من أيام الآخرة – ﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) ﴾ [الزخرف ٧٧ – ٧٨] .

وإذا بلغ منهم الغم مداه عادوا بالمقت على أنفسهم فقالوا : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) ﴾ [الملك ١٠] . وهذا اعتراف منهم بالذنب أنهم لم يكونوا ذوي آذان تسمع النداء – نداء الحق – في الدنيا ، ولا ذوي عقول تعي دعوة الحق التي جاءتهم على ألسنة الرسل !! .

وإذا علموا السبب الحق في ضلالهم وعادوا بالملامة على أنفسهم وندموا حيث لا تنفع الندامة ، وتحسروا حيث لا تزيدهم الحسرة إلا مثلها ، ومقتوا أنفسهم نودوا بما يصيبهم بغم وكرب أعظم من الذي نالوه كله ، وهو أن سخط الرب ومقته لهم أعظم من مقتهم أنفسهم .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠)** ﴾ [غافر ١٠] .

وسبب مقتهم أنفسهم أن الإيمان قد كان في متناول يدهم لو تناولوه ، وأما الآن فالإيمان بعيد ولا يقبل منهم ﴿ **وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢)** ﴾ . [سبأ ٥٢] .

فقد كان المطلوب منهم إيماناً بالقلب بوحدانية الله وشهادة باللسان ، وعملاً صالحاً سهلاً ميسوراً يستعذبه المؤمن في الدنيا ، ويمتع به في الدنيا قبل الآخرة ... فالصائم يفرح بصومه ، والمصلي يشعر بالرضا بصلاته ،

والمتصدق يسكب الله في قلبه من معاني الخير والفضل ماهو خير من إمساكه ما تصدق به ، والحاج يستعذب المشقة في سبيل الله وذاكر الله يقول : « إننا والله في نعمة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف!!! » ، والراضى بالحلال في المأكل والمشرب والمنكح يشعر بسعادة ورضى لا يشعر بها من يعيش فيما حرم الله عليه من المآكل والمناكح والمشارب ، قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)** ﴾ [طه ١٢٤] .

﴿ **٣** ﴾ ومن العذاب النفسي لآهل النار قمعهم المطارق، وتأنيبهم مع هذا العذاب المذل بالتبكيت ، وصنوف الإذلال كقول الملائكة لهم بعد صب العذاب فوقهم ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩)** ﴾ [الدخان ٤٩] .

وقولهم : ﴿ **إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)** ﴾ [الدخان ٥٠] !! ، وقولهم : ﴿ **أَفَسِحْرٌ هَـٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥)** ﴾ [الطور ١٥] .

﴿ ٤ ﴾ ومن ذلك أن يكون العذاب في نفسه مهيناً كالسحب على الوجوه في النار ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) ﴾ [القمر ٤٨] ، والأخذ بالنواصي والأقدام ، ثم الإلقاء في النار ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) ﴾ [الرحمن ٤١] .

أو الدفع والدع الشديد إلى العذاب ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) ﴾ [الطور ١٣ – ١٤] .

والدع : هو الدفع العنيف ، والدز بشدة وقوة وعنف .

وقد سمى الله عذاب الآخرة بالعذاب المهين ، وذلك أن من يصلاه يهان أعظم إهانة وأكبرها ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) ﴾ [لقمان ٦] .

﴿ ٥ ﴾ وأعظم أنواع الإهانات التي يتلقاها أهل النار عياذاً بالله هي حلول غضب الله وسخطه عليهم ، والتخلي عنهم ، ونسيانه سبحانه وتعالى لهم ومقتهم ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)** ﴾ .

[آل عمران ٧٧].

﴿ ٦ ﴾ ومن ذلك الفضيحة بالذنب على رؤوس الأشهاد والتشهير بهم على الملأ ، بل على رؤوس الناس جميعاً منذ خلق الله إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ (١٠)** ﴾ [الطارق ٩- ١٠] .

ومعنى تبلى تهتك ، ويظهر ما كان في الخفاء مما أسرَّه أصحاب الذنوب والمعاصي .

قال تعالى بعد أن صور مصارع الهالكين من قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب لوط ، وقوم شعيب : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ**

لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) ﴾ [هود ١٠٣]، أي يشهده الناس جميعاً ويحضرونه .. فمن عذبه الله في هذا اليوم ، وأظهر فضائحه على الملأ ، وشهر به أمام جميع الخلائق ، فقد أهانه أبلغ الإهانة ، وأذلة غاية الإذلال قال تعالى عن دعاء المؤمنين ربهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) ﴾ [آل عمران ١٩٢] .

وقال إبراهيم عليه السلام في دعائه : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشعراء ٨٧ – ٨٩] .

وقال ﷺ : « **لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة له بقدر غدره ، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة** » .

[رواه مسلم] .

[٣٢] أعظم عذاب النار هو الخلود !! :

أهل النار قسمان : مخلدون خلوداً لا انقطاع له ، ولا

موت معه ، وهم درجات فيها أعلاهم من يوضع في جب في أسفل النار ، لو فتح هذا الجب فإن جهنم نفسها تستغيث بالله من حره !! وأدناهم منزلة وأقلهم عذاباً من يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه !! وهذا وإن كان أهون أهل النار عذاباً إلا أنه يظن ، ويرى نفسه أنه أشد الناس عذاباً .

وتصور الخلود في العذاب أمر يفوق التصور !! ويقطّع القلب !! فإن تصور أن يكون الإنسان في سجن ما ولو كان كسجون الدنيا يعيش فيه إلى ما لا نهاية ، ولا يخرج منه أبداً بالموت ولا بغيره ، بل يبقى فيه بقاءً سرمدياً .. هذا التصور كاف في موت الإنسان غماً وكمداً وحزناً ... فكيف لو كان هذا السجن : جدرانه وأبوابه وطعامه وشرابه من النار !!؟ .

فكيف إذا كان هذا السجن بئراً إذا ألقى فيه المعذب ، هوى على أم رأسه سبعين سنة لا يصل إلى قرار ؟!! .

فكيف إذا كانت النار التي نعهدها في هذه الدنيا جزءاً

من سبعين جزء من نار الآخرة ، كل جزء من التسعة والستين فيه مثل حر نار الدنيا ؟! .

إن تصور الخلود في هذا العذاب شيء يفوق الوصف ... والعجب أن المصدق به لا يفر منه ، وقد قال ﷺ : «**عجبت للنار كيف نام هاربها** » ؟!! .

وإلا فمن عرف هذه النار وآمن بها وأنها موجودة حاضرة الآن وإذا مات في آية لحظة فقد يدخلها كيف له أن ينام وهي في الإنتظار !!! ولكن إنها الغفلة والتسويف والانشغال بما حفت به النار من الشهوات .

[٣٣] من هم عصاة المؤمنين ؟ :

المؤمن الذى يموت على الإيمان إذا كان قد ارتكب فى حياته معصية دون الكفر والشرك المخرج من الملة فإن له حالتان : إما أن يكون قد تاب من معصيته فى حياته ، وإما أن يكون مات غير تائب منها ... فإن كان قد تاب منها فى حياته توبة نصوحاً قبلها الله منه فإنه يعود كمن لا ذنب له، فلا يطالب بمعصيته هذه فى الآخرة .

وأما إذا كان قد مات غير تائب من معصيته فإن لهذا أحولاً :

﴿ ١ ﴾ فمنها أن يتجاوز الله عنه إحساناً من الله وفضلاً ومناً ، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما في النجوى « أن الله سبحانه وتعالى يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم ، أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد : ﴿ **وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** (١٨) ﴾ [هود ١٨] .

« رواه البخاري » .

﴿ ٢ ﴾ ومنها أن تكون له حسنات كثيرة تربو على هذه السيئات ، فيتجاوز الله عنه ، ويسامحه في سيئاته لزيادة الخير الذي عنده ، قال تعالى : ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ**

الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف ٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة ٦ – ٩] .

﴿ ٣ ﴾ وإما أن يشاء الله سبحانه وتعالى عقوبته ، وهذه العقوبة إما أن يعذب بها في القبر ، أو في الموقف «يوم القيامة » أو في نار جهنم ، ثم تتداركه بعد رحمة الله فينصرف إلى الجنة ما دام أنه قد مات على التوحيد والإيمان ولم يكن من أهل الكفر الناقل عن ملة الإسلام .

وهؤلاء المؤمنون العصاة هم الذين يموتون يوم يموتون وقد فعلوا معاصي لم يتوبوا منها ، أو لم تقبل توبتهم فيها ، أو ماتوا يوم ماتوا عليها – عياذاً بالله من سخطه – كمن مات وهو يزني أو وهو يسرق ، أو وهو فار من الزحف أو هو يأكل الربا ، أو ماتوا وهم يعملون ما دون ذلك من المعاصي والسيئات .

ثم شاء الله جل وعلا أن يعذبهم بمعاصيهم في القبر أو عرصات يوم القيامة في يوم مقداره خمسين ألف سنة من أيام الدنيا ، أو في النار بعد ذلك .

[٣٤] الذنب والوعيد متحققان ، والتوبة والمغفرة مظنونتان :

لقد وجدت أن وقوع الذنب من العبد متحقق سواء علم به العبد أو لم يعلم به ، أو عدَّه ذنباً ، أو لم يعده ذنباً ، وسواء تذكره أو نسيه ، فكل ذنب وقع في الأرض فهو مكتوب مسطور ما لم يمحه الله بالتوبة .

ووجدت أن العقوبة التي رتبها الله على الذنب فهى كذلك متحققة ، ما لم يغفر الله لفاعل الذنب .

ولما كانت الذنوب التي فعلتها أمراً مقطوعاً به ، فقد كتب وسجل لا محالة في ذلك ، والوعيد على الذنب مقطوع به فإن الله سبحانه وتعالى لا يقول إلا حقاً ، ولا يتوعد إلا صدقاً إلا أن يتوب العبد توبة نصوحاً ، فيغفر الله